

واقع مكتبات السجون في الجزائر وأثرها على النزلاء

شباحي مهدي

أستاذ مساعد قسم "أ"

جامعة الجيلالي بونعامة- خميس مليانة

m.chebahi@univ-dbkm.dz

المستخلص

تهدف الدراسة إلى وصف واقع مكتبات السجون في الجزائر من حيث وظائفها وطريقة تقديم خدماتها للنزلاء وكيفية تأثيرها عليهم، وقد أجريت ميدانيا على أربع مكتبات بأربع مؤسسات لإعادة التربية والتأهيل، تم من خلالها إستجواب 324 نزila مستعملا لها وإستبيان آرائهم حولها، من جملة ما تم التوصل إليه أن مكتبات السجون في الجزائر تلتزم بالطرق المتعارف عليها في العمل المكتبي، من تزويد، جرد، وفهرسة... لكن بشكل أكثر بساطة مع إمكانيات مادية وبشرية أقل، وأهم ما توصلت إليه كذلك أنه كان لهذه المكتبات تأثير إيجابي قوي وعميق على العديد من النزلاء.

الكلمات المفتاحية: المكتبات، مكتبات السجون، الخدمات المكتبية، السجناء؛ الجزائر

Abstract

The purpose of the study is to describe the reality of the prison's libraries in Algeria in terms of their functions and the way they provide services to the inmates and how it affects them. The study was done in four libraries of four institutions of re-education and rehabilitation through which 324 inmates were interrogated to know their opinions about them. The results showed that prison's libraries in Algeria adhere to the techniques and the methods used in the libraries's functions such as: providing; inventorying and cataloging but more simply and with fewer material and human resources. The most important conclusion of this study is that those libraries had a great positive impact on the inmates in general.

Key words: Libraries, Prison libraries, Library services, Inmates, Algeria

مقدمة

مما جاء في بيان اليونسكو بشأن المكتبات العامة لسنة 1994: «...تقدم المكتبة العامة خدماتها على أساس تكافؤ فرص الجميع في الإنتفاع بها، بصرف النظر عن السن والعنصر والجنس والدين والإنتماء القومي واللغة والوضع الإجتماعي، ولا بد أن توفر خدمات ومواد خاصة لجميع المنتفعين الذين لا يستطيعون لأي سبب كان، الإستفادة من الخدمات والمواد العادية، كالأقليات اللغوية والمعوقين ونزلاء المستشفيات أو السجون...»¹، هذا البيان هو إنعكاس لمجموعة من الظروف الدولية التي أفرزت العديد من القوانين والإتفاقيات، وعديد من التحولات خاصة فيما يتعلق بالعدل والمساواة بين جميع الأفراد، مثل الإعلان

العالمي لحقوق الإنسان لسنة 1948، وعلى اعتبار أن هيئة اليونسكو ذات إهتمامات تعليمية ثقافية وعلمية، فقد حثت في بيانها على الإستجابة لهذه المتغيرات العالمية من خلال إلزامية العدل والمساواة في توفير الخدمات المكتبية لكل فئات المجتمع على غرار نزلاء السجون، وعلى هذا الأساس فإن للمسجونين الحق في الإنتفاعوا الإستفادة من خدمات مكتبية مثلهم مثل باقي أفراد المجتمع، توفرها لهم المكتبة العامة الأقرب إلى مقر السجن، أو بإقامة فرع لها فيه، أو من خلال قيام السجن بإنشاء مكتبة بداخله تسير من طرفه، والحالة الأخيرة هذه هي الأكثر إنتشارا، وذلك نظرا لظهور العديد من المكتبات داخل السجون عبر العالم تابعة لها تسعى لتحقيق أهدافها وخدمة المسجونين بداخلها؛ من هنا أصبح موضوع مكتبات السجون ضمن اهتمامات العديد من الأفراد والمنظمات والهيئات الحكومية وغير الحكومية، فنجد أن لهذه المكتبات وظائف وأهداف تسعى لتحقيقها، كما لها موظفين يقومون بالأعمال المكتبية فيها، ورواد من النزلاء يستفيدون من خدماتها ومجموعاتها، مثلها مثل بقية أنواع المكتبات الأخرى، ولقد حظيت بالكثير من الاهتمام عبر العالم خاصة في الدول الغربية أين خصصت لها الإمكانيات البشرية والمادية، من تجهيزات وتكنولوجيا، وحتى المواصفات أو الإرشادات الدولية على غرار الأدلة الإرشادية للخدمات المكتبية للسجناء الصادرة سنة 2005 عن الإتحاد الدولي لجمعيات ومؤسسات المكتبات-الإفلا²، كما فتح المجال أمام المختصين في علم المكتبات لدراستها والإهتمام بالموضوعات المرتبطة بواقعها.

إشكالية الدراسة

تسعى مكتبات السجون، التي أصبحت قطعة أساسية من الفكر الإصلاحى والإدماجى داخل السجون عبر العالم، إلى الإسهام في إصلاح المسجونين ومساعدتهم على إعادة الإندماج في المجتمع، أو بمعنى آخر هدفها هو التأثير في نزلاء المؤسسات العقابية بطريقة إيجابية وتحويلهم إلى أفراد فاعلين ونافعين، وذلك بتحسين مستواهم التعليمي والثقافي... وهذا لا يتأتى إلا بتوفير الظروف الملائمة والبيئة المناسبة، مع الإمكانيات الكافية المادية منها وخصوصا البشرية، والجزائر وعلى غرار بقية دول العالم هي الأخرى لديها العديد من المكتبات في السجون والمؤسسات العقابية، إلا أن موضوع مكتبات السجون في الجزائر لم يلق حقه من الاهتمام، خصوصا في الدراسات والكتابات الأكاديمية، وبالتالي يبقى واقعها مجهولا لدى الكثير منا، وهذا ما دفعنا للتساؤل عن واقع مكتبات السجون في الجزائر؟ وعن مدى أو كيفية تأثيرها على النزلاء المستفيدين من خدماتها؟

منهج الدراسة وأدواتها

نظرا لطبيعة الدراسة تم الاعتماد في إنجازها على المنهج الوصفي، فهو الأنسب لتشخيص واقع المكتبات في السجون الجزائرية ووصفه وصفا دقيقا، أين تمت الاستعانة بالملاحظة من خلال الزيارة الميدانية للمكتبات المدروسة، وأيضا من خلال إستعمال المقابلة مع المسؤولين والعاملين بها، وللتعرف على مدى تأثيرها على النزلاء لتفسير ذلك، تمت الاستعانة بالإستبيان وهذا لإستقصاء آراء المسجونين حولها وسؤالهم عن إتجاه ومدى وكيفية تأثيرها عليهم.

مجتمع وعينة الدراسة

يتمثل المجتمع المدروس في مكاتب ونزلاء السجون في الجزائر، ونظرا للعدد الكبير من النزلاء البالغ عددهم أكثر من خمسين ألف، إضافة إلى بلوغ عدد السجون في الجزائر 131 مؤسسة عقابية⁴³، ولصعوبة دراسة كل هذا العدد، فقد تم اللجوء إلى اختيار عينة تتكون من 324 نزير موزعين على أربع مؤسسات عقابية في كل من الحراش بالجزائر العاصمة، والمؤسسة العقابية بالبرواقية بولاية المدية، والمؤسسة العقابية بالشلف، إضافة إلى المؤسسة العقابية بسيدي بلعباس، وذلك لتطبيق الدراسة عليها وتعميم النتائج المتوصل إليها على بقية المجتمع المدروس.

1. واقع مكاتب السجون في الجزائر

كما سبقت الإشارة إليه وللتعرف على مكاتب السجون في الجزائر وتشخيص واقعها تمت الإستعانة بأداة الملاحظة من خلال الزيارة الميدانية للمكاتب عينه الدراسة، كما تمت الاستعانة بأداة المقابلة التي أجريت مع المسؤولين عنها والعاملين فيها وسؤالهم عن كل ما يتعلق بها.

1.1 . مفهوم مكاتب السجون في الجزائر

المؤسسات العقابية الجزائرية والتي تعرف بمؤسسات إعادة التربية والتأهيل كدلالة على تغير مفهوم السجن وأهدافه من العقاب إلى الإصلاح وإعادة إدماج المسجونين في المجتمع، تعتبر المسؤول الأول عن تأسيس المكاتب بداخلها، فمكتبة السجن هي «تلك المكتبة التي تنشأ داخل السجن أو المؤسسة الإصلاحية، بهدف تقديم الخدمات المكتبية والأنشطة الثقافية والمعلوماتية للنزلاء، ولأن المكاتب أشد ارتباطا بالمجتمع الذي تقوم على خدمته ومن أجله أنشئت، لذا فإن أهداف مكتبة السجن ووظائفها ترتبط ارتباطا وثيقا بمجتمع السجن وأهدافه التي تركز على إصلاح وتأهيل النزلاء»⁵ مكتبة السجن في الجزائر تعتبر مصلحة من بين مصالح السجن، تتكون من فريق عمل يتألف من موظفين تابعين لمصلحة إعادة الإدماج يساعدون بعض النزلاء، يسهرون على توفير الخدمات المكتبية للمستعملين لها، باستخدام الإمكانيات المتاحة لهم من مصادر المعلومات أو القاعات... بهدف تحقيق أهدافها وإنجاز مهامها الموكلة إليها والتي هي جزء من أهداف المؤسسة العقابية المتواجدة بها (السجن).

1.2 . أهمية وأهداف مكاتب السجون

تهدف مكاتب السجون الجزائرية إلى المساهمة في إعادة تربية المحبوسين وإدماجهم الإجتماعي من جديد، بهدف مكافحة الجنوح⁶ لدى أفراد المجتمع الجزائري، وتوفير مختلف الخدمات المكتبية مثل إعاره مصادر المعلومات، الخدمات... وتلبية كل رغباتهم وحاجياتهم المعلوماتية، وتشجيعهم على القراءة، وممارسة مختلف النشاطات الفكرية، والثقافية الأخرى، ونشر الوعي بين أفراد مجتمع النزلاء، وهذا له أهمية ودور في الحفاظ على أمن وسلامة المؤسسات العقابية بالحفاظ على هدوء النزلاء وتماسكهم، والترويج وتخفيف

القلق والإضطرابات والمشاكل الأخرى، وتزويدهم الروحي، وتنمية طموحاتهم، وتغيير رؤيتهم ووجهات نظرهم نحو المستقبل والمجتمع، وتحسين طريقة تفكيرهم⁷.

1.3. وظائف مكتبات السجون

تتمثل وظائف مكتبات السجون في الجزائر على غرار بقية أنواع المكتبات الأخرى في:

1.3.1. تكوين وتنمية المجموعات

تكوين أو تنمية المجموعات في هذا النوع من المكتبات في الجزائر يعتمد على طريقتين أساسيتين هما:

1.3.1.1. التزويد المركزي

هذا التزويد يركز على المديرية العامة لإدارة السجون التي تقتني للمكتبات أغلب ما تحتاجه من مصادر، فتعتبر هذه المديرية بمثابة المركز الوطني لإقتناء وجمع المصادر والكتب، من ثم تقوم بتوزيعها على كل مكتبات السجون المنتشرة عبر التراب الوطني، ويكون هذا مرة كل سنة وأحيانا مرتين أو أكثر (على فترات مختلفة وغير منتظمة أحيانا بالمناسبات الوطنية أو الدينية...) أما التزويد بالكتب الدراسية فيتم مرة كل سنة فقط من طرف مراكز التعليم بالمراسلة الجهوية، بينما الشراء من قبل السجن فهو نادرا جدا وغير معمول به كثيرا⁸.

1.3.1.2. الإهداءات

تعتبر الهدايا من أهم طرق تنمية المجموعات والتي مصدرها المجتمع المدني المتمثل على الخصوص في: الجمعيات الخيرية أو الثقافية محلية كانت أو وطنية، مثل الكشافة الإسلامية، أو الهيئات الرسمية مثل وزارة الشؤون الدينية، وزارة الثقافة، وزارة الشباب والرياضة...، أو الأفراد خاصة المؤلفين والمفكرين، فمثلا الكاتب "حفناوي زاغز" تبرع لمكتبة سجن الحراش⁹ بكل مكتبته المتكونة من أكثر من 2398 عنوان¹⁰.

1.3.2. مراقبة المصادر الجديدة

هي عملية حساسة تتم بطريقة آلية روتينية مع كل ما يدخل للسجن خاصة لما يتعلق الأمر بالهدايا، لأن بعض المواضيع أو العناوين ممنوعة لعدة أسباب أغلبها أمنية، كالتى قد تهدد أمن وإستقرار الدولة الجزائرية أو سلامة السجن، سواء كانت دينية أو سياسية وبالأخص المتطرفة منها أو التحريضية، التي تتطرق إلى كل ما يتنافى مع الدين الإسلامي والأخلاق أو يمس بالرموز والهوية الوطنية، أيضا تمنع المواضيع التي قد يكون لها تأثير سلبي على الحالة النفسية للسجناء أو تحدث وتشجع على الإجرام والانحراف أو العنف، وتتم عملية الرقابة من طرف الموظفين في مصلحة إعادة الإدماج المسؤولين عن المكتبة، مثل رئيس مصلحة الإدماج ونائبه والمساعدين له، بالتشاور مع المدير، هذه الرقابة تبرز على الخصوص عند إدخال السجين معه كتاب أو إستلامه من قبل عائلته، بالإضافة في حالة الإقتناء أو الهدايا¹¹.

1. 3. 3. الجرد

كل المصادر التي يسمح بدخولها للسجن أو مكتبته يتم جردها في سجلات رسمية تساعد موظفي المكتبة على حصر ومعرفة كل الإمكانات والوسائل والأجهزة بما فيها عدد الكتب. تستعمل المكتبات العديد من أنواع السجلات من الحجم الكبير والصغير، كما تستعين بالحاسوب في ذلك أيضا، إضافة إلى جرد كل المصادر الجديدة فإن هناك عملية جرد تتم كل سنة وذلك للوقوف على المفقود والنقائص من الكتب وغيرها من أجل تعويضه، أما فيما يخص الكتب التي تصل إلى النزلاء عن طريق الزيارات العائلية أو الطرود، فيوجد سجل جرد خاص بها يمكن للقائمين على المؤسسات العقابية ومكتباتها من خلاله معرفة كل الكتب والمواضيع التي يتم تداولها بين المسجونين.

1. 3. 4. الفهرسة والتصنيف

من خلال زيارتنا الميدانية لمكتبات السجون وجدنا أنها تعتمد على الحد الأدنى من البيانات الببليوغرافية في وصفها وفهرستها للكتب ومختلف الوثائق التي تتيحها لروادها عند إعدادها لأدوات البحث والإسترجاع (الفهارس)؛ فهي تقتصر على اسم المؤلف وعنوان الوثيقة فقط، وأحيانا يضاف الموضوع وأيضا اسم الناشر مثلما هو معمول به في مكتبة سجن الحراش، مع إعطاء شفرة خاصة بكل كتاب، تتم من خلال إعطاء رقم أو حرف خاص يرمز به للموضوع أو الصنف بعدها شرطة مائلة ثم الرقم التسلسلي للكتاب ضمن الصنف مثلما هو معمول به في مكتبة سجن بلعباس، مثال: 06/0088 "المسند الصحيح"، حيث الرقم ستة 06 يرمز به للمواضيع الدينية، وأحيانا يتم الإستغناء عن الشرطة المائلة في حالة الرمز للتصنيف بحرف أبجدي، مثلا في مكتبة سجن الحراش يستعمل الحرف (z) باللغة الفرنسية للتعبير عن القصص والروايات ثم بعده الرقم التسلسلي للكتاب ضمن نفس الموضوع، مثال: z 1530 قصة "تجاري مع الحقيقة" للكاتب "منير البعلبكي"، z 1531 قصة "أيام معه" للكاتبة "كوليت سهيل" وأحيانا نجد أنه تم الإستغناء نهائيا عن الرمز الخاص بالموضوع والإعتماد فقط على الرقم التسلسلي لكل كتاب كما هو معمول به في فهرس الكتب باللغة الفرنسية بمكتبة مؤسسة إعادة التربية والتأهيل بالشلف، أو في فهرس ثان مكتبة مؤسسة الحراش، أما في مكتبة سجن البرواقية التصنيف يرمز له بالحروف ثم يأتي الرقم التسلسلي للكتاب، فموضوع الثقافة مثلا يرمز له بحرفين هما (ثق) ثم يأتي الرقم التسلسلي للكتاب، أما الروايات باللغة الفرنسية يرمز لها بحرفين هما (RO) ثم يأتي الرقم التسلسلي للكتاب أيضا.

1. 3. 4. 1. أنواع الفهارس

طريقة الفهرسة المعتمدة تتيح إنشاء فهرس عناوين مصنف، أين يتم تصنيف الكتب المفهرسة وتقسيمها إلى مواضيع محددة من ثم يتم ترتيبها حسب التقييم التسلسلي تحت كل موضوع، مع تقسيمها إلى كتب باللغة العربية وأخرى باللغات الأجنبية، من هنا يتم إنشاء فقط فهرس عناوين مصنف موضوعيا باللغة العربية وآخر باللغات الأجنبية وبالخصوص اللغة الفرنسية، مما يعني أن مداخل البحث المتاحة للمستعملين تتمثل

بالأساس في موضوع الكتاب وعنوانه، أو اسم المؤلف إلا أن البحث باسم المؤلف صعب لعدم وجود فهرس مؤلفين مرتبا ترتيبا هجائيا.

1. 3. 4. 2. أشكال الفهارس

مكتبات السجون في الجزائر تعتمد في الأساس على الفهرس المطبوع، تكون صفحاته في مجلد بلاستيكييوضع في أماكن تواجد المسجونين مثل الساحات والقاعات، كما يوجد لدى مكتبة الحراش شكل آخر من الفهارس يتمثل في الفهرس الآلي، إلا أن عملية البحث فيه مقصورة على الموظفين فقط لأنه غير متاح للنزلاء.

1. 4. خدمة الإعارة

هناك ثلاثة أنظمة إعارة يتم العمل وفقها في مكتبات السجون الجزائرية من أجل إتاحة المجموعات للنزلاء وهي:

1. 4. 1. نظام الرفوف المفتوحة

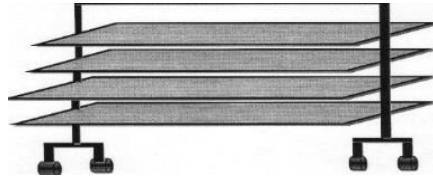
يعتمد هذا النوع من أنظمة الإعارة على السماح للمسجونين من الدخول إلى مخزن الكتب والتجول بين رفوف المكتبة لإختيار كتاب ما والإطلاع عليه، إلا أنه غير متاح لجميع النزلاء، بل لفئة قليلة ومحدودة منهم لإستحالة ذلك عمليا وأمنيا، نظرا لكثرة عدد النزلاء، إضافة إلى صغر حجم المكتبات وقلة المساحات المخصصة لها أو لقاعات المطالعة، مما يقلل من قدرات إستيعابها للرواد المستفيدين منها في الوقت ذاته، إضافة إلى الدواعي والإجراءات الأمنية التي تتطلب مرافقة كل نزير من طرف عون إعادة التربية في كل تحركاته وتنقلاته داخل السجن وهذا يتطلب أعداد كبيرة جدا من الأعوان، على هذا الأساس فإن الإستفادة من هذا النظام غير متاح للجميع لكن يتم مراعاة بعض الحالات، مثل السجناء الذين يحضرون للشهادات والإمتحانات من الطلاب والمتمدرسينفتمنح لهم الأولوية في حالات خاصة.

1. 4. 2. النظام المغلق

هذا النوع من الإعارة هو أكثر إنتشارا واستعمالا في مكتبات السجون الجزائرية، وهو النظام الذي يعتمد في طريقة عمله على توفير فهرس للكتب يطلع عليها المحبوس ويسجل الكتب التي يريد إستعارتها في استمارة خاصة، ويسلمها لرئيس الجناح، الذي يجمعها ويسلمها بدوره لعامل بالمكتبة من أعوان إعادة التربية، الذي يشرف على جمعها من كل أجنحة السجن المعنية بالإعارة، من ثم تسليمها لعمال المكتبة المكلفين بالبحث وإسترجاع الكتب من على الرفوف حسب الطلبات، ليتم بعدها وضعها في عربة خاصة بنقل الكتب التي يتم الإستعانة بها في التنقل بين الأجنحة وتسليم الكتب لطالبيها، وأحيانا لا تستعمل العربة بل الأيدي أو صندوق خاص يحمل من طرف الأعوان أو المحبوسين، حسب الظروف ومدى قرب أو بعد الجناح عن المكتبة مثلما هو عليه الحال في مؤسسة الحراش¹².

1. 4. 3. نظام العربة المتنقلة

يمكننا أيضا تسميته بنظام الرفوف المفتوحة المصغر، أو نظام المكتبة المتنقلة المصغرة، يعتمد هذا النوع من أنظمة الإعارة في مكتبات السجون الجزائرية على عربة مخصصة لنقل الكتب إلى النزلاء للإطلاع عليها وتصفحها، ومن ثم إختيار ما يلاءمهم، مع تجديد الكتب بها دائما وباستمرار، تستعمل هذه الطريقة من الإعارة خاصة أثناء تواجد النزلاء في الفناء، أين يسهل كثيرا الوصول إليهم كلهم بأسرع وقت وأقل جهد، لتفادي كثرة الحركة والتنقل بين الأجنحة خصوصا المتباعدة فيما بينها أو عن المكتبة، فمثلا مكتبة سجن بلعباس لها عربة مصنوعة محليا داخل السجن من الحديد والخشب إرتفاعها حوالي 1.40 متر تستطيع حمل أكثر من مئة كتاب بفضل أربعة رفوف مفتوحة على جهتين مثلما يوضحه الشكل التالي:



الشكل رقم(01): شكل تقريبي لعربة نقل الكتب في مكتبة مؤسسة إعادة التربية والتأهيل ببلعباس.

وكذلك الحال بالنسبة لمكتبة مؤسسة إعادة التربية والتأهيل بالشلف تم صنع عربة من الحديد على مستوى ورشات الإدماج إرتفاعها حوالي 1.40 متر أما الطول 1.50 متر، والعرض 1 متر، تستطيع نقل أكثر من 150

كتاب حسب ما يوضحه الشكل التالي:



الشكل رقم(02): شكل تقريبي لعربة نقل الكتب في مكتبة مؤسسة إعادة التربية والتأهيل بالشلف.

فيما يتعلق بمؤسستي البرواقية والحراشلم نتمكن من الإطلاع على عربتهما لنقل الكتب لكنهما من نفس شكل عربة مكتبة بلعباس تقريبا حسبما تم وصفهما لنا من قبل العاملين بالمكتبتين.

1. 5. الإمكانيات البشرية لمكتبات السجون في الجزائر

خصوصية القطاع الذي تتبعه مكتبة السجن يجعل من الصعب جدا توفير متخصصين في علم المكتبات ضمن الإطار البشري المسير لها، ويرجع ذلك لكون التوظيف في القطاع يقتصر فقط على بعض التخصصات، يعتبر تخصص علم المكتبات ليس من ضمنها. المكتبات تابعة لمصلحة إعادة الإدماج، هذه الأخيرة تعتبر أهم مصلحة في السجن لكونها تمثل جوهر مهامه وتحقيق الهدف الرئيسي من إنشائه، وذلك بإعادة تأهيل وإدماج المسجونين، يشرف على هذه المصلحة ضابط إعادة الإدماج والتربية الذي يشترط فيه أن يكون حائز على

شهادة الليسانس، وبالتالي يعتبر بمثابة مدير المكتبة والمسؤول الأول عنها، أيضا من بين العاملين في مكتبات السجون الجزائرية والذين يعتبرون بمثابة الجهاز التنفيذي لها والقائمين الفعليين والمباشرين على مختلف أعمالها، نجد العديد من الرتب كرقيب إعادة التربية، أعوان إعادة التربية، إضافة لحراس الأمن؛ حيث هذه الفئات من العاملين بالمكتبة هي من يقوم بتنفيذ أعمالها والقيام بمختلف خدماتها ونشاطاتها، كإعارة الوثائق وإسترجاعها، الفهرسة، التنظيم والترتيب، الإحصائيات، المسابقات... ويتمتع البعض منهم بمستوى علمي عالي مثلما هو الحال فيما يخص رقيب إعادة التربية بمكتبة سجن الحراش الحاصل على شهادة الليسانس في الأدب، كما أن منهم الحاصل على شهادة البكالوريا أو المستوى النهائي من التعليم الثانوي؛ كما يوجد للبعض منهم الخبرة الكبيرة في ذلك مثلما هو عليه الحال بالنسبة لعون إعادة التربية بسجن بلعباس صاحب الخبرة لمدة 30 سنة عمل في المؤسسات العقابية، 10 سنوات منها خبرة كمسير لمكتبة سجن الشلف، أيضا من بين العاملين بمكتبات السجون نجد النزلاء أنفسهم، فكل مكتبات السجون التي قمنا بدراستها تستعين بأعداد مختلفة من المحبوسين في تنفيذ وإنجاز أعمالها المختلفة لمساعدة القائمين عليها في ذلك، يكلفون بإعداد الفهارس، الترتيب والتنظيم، تمرير العربية على الأجنحة لإعارة الكتب، وغيرها من الأعمال المكتبية، يتم إختيارهم للعمل في المكتبة وفقا لعدة معايير أهمها العقوبة المسلطة عليهم فيشترط أن لا تكون بسبب تهمة خطيرة كالمخدرات أو القتل... ومدتها بأن لا تزيد عن سنتين أو ثلاث سنوات وأحيانا حتى خمس سنوات بالأكثر، كما يشترط فيهم أن يكونوا من حاملي الشهادات العليا من المستوى الجامعي في الغالب أو أصحاب مستوى علمي مقبول يؤهلهم للعمل في المكتبة، على أن يكونوا من العقلاء والمعروفين بحسن السلوك والإنضباط داخل السجن والسيرة الحسنة؛ ويتم تكوينهم على العمل المكتبي فقط عن طريق الممارسة والتدريب الميداني، وقبل نفاذ عقوبة السجين العامل في المكتبة وعندما تبقى له مدة قصيرة على انتهاء مدة حبسه، يتم إختيار سجين آخر ليتعلم منه ليعوضه بعد خروجه¹³.

1. 6. الإمكانيات المادية لمكتبات السجون في الجزائر

المقومات المادية ضرورية لأي مكتبة حتى تستطيع أداء مهامها، ومكتبات السجون في الجزائر هي الأخرى لها من الإمكانيات ما يأتي:

1. 6. 1. البنيات

المكتبات التي سمح لنا بزيارتها والدخول إليها (بلعباس، الشلف، الحراش) بنائاتها كلها متشابهة، فهي عبارة فقط عن قاعة واحدة متعددة الوظائف تعتبر مخزن لرفوف الكتب، وقاعة للمطالعة، ومساحة للعمل من خلال المكاتب المتواجدة بها، والإختلاف الوحيد بينها هو المساحة أو علو السقف، ومما توقفنا عنده من خلال الزيارة الميدانية أنه لا يمكن تخصيص مباني مستقلة للمكتبات عن بقية السجن نظرا للموقع الذي تحتله وضيق المساحة المخصصة لها، رغم هذا فإن مكتبة مؤسسة إعادة التربية والتأهيل بالشلف خصص لها مخزن صغير مؤقت للكتب أو الكتب المستبعدة¹⁴، أيضا في سجن الحراش خصصت مكتبة صغيرة في جناح النساء وأخرى في جناح الأحداث¹⁵.

1. 6. 2. الموقع

تتواجد المكتبات موضوع الدراسة وسط السجن وتقع ضمن مجمعات إعادة الإدماج والتأهيل التي تحتوي على أقسام لورشات العمل والتكوين مثل ورشات النجارة والخياطة... وأقسام خاصة بالتدريس والتعليم مثل قسم لتعليم الإعلام الآلي وأخرى خاصة بمختلف الأطوار التعليمية، حيث تتواجد من بينها المكتبة كما هو عليه الحال في سجن الشلف، فالمكتبة متواجدة ضمن مجمع الإدماج الذي هو عبارة عن بناية كبيرة مع رواق طويل بجوانبه المكاتب وقاعات التدريس وينتهي هذا الرواق في آخره بالمكتبة الخاصة بالسجن؛ كذلك بالنسبة لمكتبة سجن الحراش التي هي الأخرى تقع وسط السجن، وللوصول إليها مررنا بالعديد من الأبواب والمساحات الضوئية، توجد بالقرب من مكاتب إعادة الإدماج وأجنحة السجناء قريبة منها أيضا، وكذلك الحال بالنسبة لمكتبة بلعباس الوصول إليها يتطلب المرور على مختلف ورشات العمل وقاعات الرياضة، كما يوجد بالقرب منها قاعة لتدريس الإعلام الآلي.

1. 6. 3. المساحة

مساحات المكتبات مختلفة ومتفاوتة ويرجع ذلك لاختلاف إمكانيات وطبيعة بنايات السجون في الجزائر، والجدول التالي يوضح لنا المساحة الإجمالية لكل مكتبة قمنا شخصيا بحسابها بالتقريب لعدم وجود أداة للقياس:

المؤسسة	مساحة المكتبة
الحراش	90م ²
البرواقية	200م ²
الشلف	216م ²
بلعباس	50م ²

الجدول رقم(1): مساحات مكتبات مؤسسات إعادة التربية والتأهيل بالجزائر.

من خلال الجدول السابق نلاحظ أن هذه المكتبات تعاني من نقص كبير في مساحاتها، ويعود ذلك لقلّة المساحة في السجون الجزائرية والتي تواجه صعوبات كبيرة في هذا الجانب خاصة فيما يتعلق بإيجاد أماكن خاصة بإيواء المساجين نظرا للإكتظاظ الشديد بها، ولكون معظم السجون في الجزائر موروثا عن الحقبة الإستعمارية وبالتالي لا تراعي المعايير الدولية في بنائها حيث أن المساحة المخصصة للسجين الواحد في الجزائر

تقدر بـ 1.86م² بينما المعايير الدولية تدعو إلى تخصيص 12م² للسجين¹⁶ وهذا يدل على العجز الكبير في المساحات المتوافرة لدى المؤسسات العقابية في إيواء المسجونين بالجزائر مما يصعب على القائمين عليها تخصيص المساحة الملائمة للمكتبة.

1. 6. 4. التجهيز

فيما يخص المكتبات التي قمنا بزيارتها ميدانيا لاحظنا أنها كلها مجهزة برفوف للكتب تم إلصاقها كلها على الجدران في شكل حلقة وهذا من أجل ربح مساحة في وسط القاعة تخصص للعمل والمطالعة، فمكتبة الشلف مثلا مجهزة بثلاث مكاتب للعمل والإعارة تحمل جهاز حاسوب واحد وطابعة من أجل المعالجة الفنية لأوعية المعلومات وطبع الفهارس وغيرها... كما تتوسطها طاولة كبيرة حولها 18 كرسي مخصصة للمطالعة أو عقد نقاشات العمل وتنظيم مختلف النشاطات بها، أثناء زيارتنا الميدانية لها شهدنا بها إنعقاد جلسة عمل بين مدير السجن ورئيس مصلحة إعادة الإدماج والأساتذة حول تحضير السنة الدراسية الجديدة، أيضا تم تجهيزها بمكيفين للهواء مع وجود مأخذ كهرباء كافية لها وللأجهزة الخاصة بالمكتبة، ووجود هاتف قريب منها على مستوى مكتب رئيس مصلحة الإدماج، ونظام إنذار إلكتروني في حالة حدوث الحرائق أو غيرها من الكوارث؛ بينما مكتبة سجن الحراش فهي مجهزة إضافة للرفوف بـ 20 طاولة مجمعة في شكل طاولة واحدة، مع 30 كرسي حولها مخصصة للمطالعة، إضافة إلى مكتبين من الخشب بهما جهازي حاسوب، وآلة طابعة متعددة الخدمات (نسخ، مسح ضوئي، طبع) وآلة أخرى ناسخة، كل هذه التجهيزات مخصصة لتسيير العمل اليومي للمكتبة، كما أنها مكيفة بجهاز تكييف هواء واحد، إضافة لوجود هاتف خاص بمكتب مصلحة إعادة الإدماج الملاصق لها يمكن إستعماله عند الحاجة بكل سهولة، مع وجود القارورات الخاصة بإطفاء النار في حالة إندلاع أي حريق. مكتبة سجن بلعباس هي الأخرى مجهزة بالرفوف الخاصة بالكتب إضافة لأربع خزانات كبيرة بها العديد من أشكال الكتب، وبالقرب منها صبورة معلق عليها كل النشاطات والأعمال والتوقيات، إضافة للعديد من الأعمدة الإشهارية، ويتوسط القاعة مجموعة طاولات مرتبة لتشكّل طاولة واحدة كبيرة حولها 40 كرسي مخصصة للمطالعة وغيرها من النشاطات، ومجهزة بمكتب للعمل مع جهازي حاسوب وطابعتين وآلي نسخ، واحدة منها بها ماسح ضوئي، وتحتوي على نظام إنذار إلكتروني، لكن من نقائصها عدم وجود مكيفات الهواء، أما فيما يخص مكتبة سجن البرواقية التي لم يسمح لنا بزيارتها وبالتالي لم نلاحظ تجهيزها بأنفسنا لكن من خلال المقابلة مع مسؤول المكتبة أوضح أنها مجهزة على غرار المكتبات الأخرى التي زرناها بالرفوف، والمكاتب، وأجهزة الحاسوب، وآلات النسخ، وطاولة كبيرة وكراسي مخصصة للمطالعة، مع تكييف مركزي¹⁷.

1. 6. 5. المحيط

فيما يخص محيط مكتبات السجون الجزائرية التي زرناها، المكتبات متواجدة بوسط السجون وبالتالي توفير محيط خارجي جيد وملئم لها كأن تكون محاطة بحديقة غير ممكن عمليا، فهي محاطة كما سبق لنا ذكره على الخصوص بقاعات التدريس وغيرها من القاعات المخصصة لنشاطات إعادة الإدماج، أما المحيط

الداخلي فالأمر يختلف، فمثلا مكتبة مؤسسة الشلف أثناء زيارتنا الميدانية لها أول ما شد إنتباهنا عند الدخول إليها هو الرائحة العطرة التي تبعث في النفوس الراحة والطمأنينة وتحفز على السكون والتركيز والمطالعة، إضافة للأرضية الناصعة البياض والنظافة الرائعة مع إضاءة جيدة جدا والهدوء الشديد رغم إنعقاد إجتماع بها نظرا لإرتفاع سقفها مما يقلل من حجم الأصوات المرتفعة والفوضى، إضافة لكونها بعيدة عن مصادر الضجيج فحتى قاعات التدريس القريبة منها تتميز بالهدوء؛ كما تم تزيينها بالعديد من الصور واللوحات الجميلة، أما مكتبة مؤسسة الحراش فهي الأخرى مزينة ببعض الأعمال التي صنعها النزلاء مثل الرسومات والأشكال المختلفة، والكؤوس التي فازو بها، فيما يتعلق بمكتبة سجن بلعباس فهي مزينة بساعة كبيرة وصور للطبيعة وآيات قرآنية جميلة جدا، كل هذا يوفر في هذه المكتبات جوا ومحيطا داخليا رائعا ومميزا يساعد كثيرا على العمل أو المطالعة.

1.7. التكنولوجيا الحديثة في مكتبات السجون الجزائرية

إستخدام التكنولوجيا الحديثة في هذه المكتبات موجود لكن بشكل محدود جدا، وقد لاحظنا ذلك من خلال زيارتنا الميدانية للمؤسسات التي سمح لنا بالدخول إليها بإستخدامها لأجهزة الإعلام الآلي في إنجاز بعض الأعمال المكتبية مثل الجرد والإعارة وتسجيل عناوين الكتب أو أسماء المستعيرين لها، أو من خلال إنجاز قوائم لمحتويات المكتبة (الفهارس) وطبعها للإطلاع عليها من قبل المستفيدين، كما تستخدم في القيام بالإحصائيات وكتابة التقارير والإرساليات الشهرية والسنوية، أما فيما يتعلق بالبرامج الآلية المستخدمة في إدارة وتسيير المكتبات فيتم إستخدام نظام آلي يعرف باسم "مكتبي" تم تزويد مكتبة الحراش به من طرف المديرية العامة لإدارة السجون ولكن ينحصر إستخدامه في إعداد الفهارس والإحصائيات حول نسب الإعارة والجرد، ولا يستخدم من طرف النزلاء في عملية البحث والإسترجاع، إلا أنه وللأسف الشديد لم يتم منحنا معلومات كبيرة عنه حيث إطلعنا فقط على قائمة الكتب المخزنة في قاعدة البيانات الخاصة به وكيفية البحث فيها، وهذا لعدم إمتلاك القائمين على المكتبة معلومات كافية عنه، أما فيما يتعلق بأوعية المعلومات الحديثة مثل الأقراص المضغوطة فهي موجودة مثلما هو عليه الحال في مكتبة سجن بلعباس لكنها غير متاحة للإستعمال للنزلاء لأن القانون يمنعها عنهم فمن الممكن أن تتحول إلى أداة حادة وتشكل تهديدا لهم؛ لكن يمكنهم الإطلاع على محتواها من خلال طبع إدارة المكتبة ما يحتاجونه منها وتوفيره لهم¹⁸، أما فيما يتعلق بوسائل الإتصال الحديثة والمتمثلة بالأساس في الأنترنت فهي غير موجودة بالمكتبات لأن موقعها داخل الإحتباس¹⁹ وهذا ممنوع قانونا²⁰، فوفق المرسوم التنفيذي الذي يحدد وسائل الإتصال عن بعد وكيفية إستعمالها، جاء في المادة الثانية منه أنه يقصد بوسائل الإتصال عن بعد التي يمكن للمسجونين إستعمالها "الهاتف"، ثم جاءت العديد من المواد الأخرى التي تتحدث عن وجوب تجهيز المؤسسات العقابية بهذه الوسيلة الإتصالية وحق المسجونين في إستعمالها مرة كل 15 يوما إلا في الحالات الطارئة مع الرقابة عليها...²¹

2. أثر المكتبة على نزلاء السجون في الجزائر

في محاولة منا لمعرفة رأي النزلاء حول مكتبات السجون في الجزائر، ولقياس مدى تأثيرها عليهم، قمنا بطرح العديد من الأسئلة عليهم خلال إستمارات إستبيان، وزعت على 400 نزير في السجون الأربعة التي سبق ذكرها، تم إسترجاع 324 إستمارة قمنا بتحليل الإجابات الواردة فيها، مع الملاحظة أننا في تحليل وتفسير بيانات الجداول والأسئلة المطروحة عليهم إعتدنا على النقل الحرفي لإجاباتهم دون أي تغيير أو تعديل فيها، مع ذكر إجابة كل شخص منهم ما بين مزدوجتين وترتيبها ترتيبا متسلسلا ومنطقيا حتى يكون للفقرات معان سليمة لأقصى حد ممكن، وسياق منطقي يخدم الموضوع، وقد تعمدنا ذلك لسبب رئيسي وهو رغبة منا في ذكر وإبداء أكبر قدر من آراء وإجابات النزلاء حول المكتبات التي إستعملوها واستفادوا من خدماتها، وبالتالي إظهار حقيقة ما يشعر به النزير وما تمثله له المكتبة بطريقة مباشرة.

1. 2. تحفيز مكتبة السجن النزلاء على المطالعة

هل تحفزك المكتبة على المطالعة؟	التكرارات	النسبة المئوية
نعم	178	54.93 %
لا	101	31.17 %
دون إجابة	45	13.88 %
المجموع	324	100 %

الجدول رقم (02): تحفيز مكتبة السجن النزلاء على المطالعة

من بين الأسئلة المطروحة هو ما إذا كانت مكتبة السجن تحفزهم على المطالعة؟ فتحصلنا على الجدول رقم (02) والذي دلت نتائجه على أن 54.93% من المستجوبين تشجعهم مكتبة السجن وتحفزهم على المطالعة، وذلك نظرا لتوفرها على كتب قيمة ومفيدة تثرى الرصيد المعرفي لهم، مع حريتهم في اختيار ما يريدونه من خلال الفهارس حسب إجابات أحدهم، وقد جاءت العديد من التدخلات الأخرى التي تؤكد ذلك سوف نسوقها حرفيا، فقال أحد السجناء أن مكتبة السجن تشجعهم على المطالعة: «لأنها توفر لهم كتب ووثائق تجعلهم يتهافتون عليها»، وقال سجين ثان: «لأنها تؤدي إلى غرس روح المطالعة في النفس وتكوين شخصية متحضرة» وقال ثالث: «هناك عناوين تشجع النزير على مطالعة الكتب والوقت كاف لقراءة كتاب في الأسبوع» وقال آخر: «لأنها توفر كل ما في بطنها له وهذا ما في وسعها» أو كما قال آخر: «لأن المكتبة وفرت فهرس فيه كل جرد الكتب الموجودة في المكتبة وعليه يجب على النزير فقط طلب هذه الكتب...» وغيرها من الإجابات الكثيرة التي أجمعت على أن مكتبة السجن لها دور كبير وفعال في دفعهم إلى القراءة والمطالعة؛ إلا أن 31.17% من أفراد العينة المدروسة يرون عكس ذلك تماما، وذلك نظرا لوجود بعض النقائص والمشاكل

المتعلقة بعمل المكتبة، فقال أحد النزلاء أن المكتبة لا تشجعهم على المطالعة: «لأنهم عندما يقولون لك الكتاب أو العنوان غير موجود فهذا يعتبر تنفير لهم»، وأكد آخر على أنها كذلك «لأنها لا تقوم بالعمل اللازم الخاص بها في هذا المجال بحيث في كثير من الأحيان لا يتم جلب الكتاب المطلوب مما يجعل كثيرا من النزلاء تتراجع الرغبة عندهم في المطالعة»، وقال آخر: «لا يوجد في المكتبة من يشجع على ذلك لأنني لم أرى يوما أصحاب المكتبة يستدعون النزلاء ويعرفون لماذا يعزفون عن المطالعة أو ما هي الكتب التي يحتاجونها»، وغيرها كثير من الإجابات التي دلت على عدم تشجيع مكتبات السجون في الجزائر النزلاء على المطالعة. من خلال هذه الإجابات والنتائج يمكننا القول أن مكتبات السجون إستطاعت أن تحفز وتشجع أكثر من نصف المستجوبين من النزلاء على المطالعة، إلا أنها لم تستطع تحقيق ذلك بالنسبة لفئات أخرى كثيرة.

2.2. مساعدة مكتبة السجن النزلاء على التأقلم مع البيئة العقابية

هل تساعدك المكتبة على التأقلم مع البيئة العقابية؟	التكرارات	النسبة
نعم	168	51.85 %
لا	98	30.24 %
دون إجابة	58	17.90 %
المجموع	324	100 %

الجدول رقم (03): مساعدة مكتبة السجن النزلاء على التأقلم مع البيئة العقابية.

لا تقتصر أهمية مكتبة السجن ودورها في حياة النزلاء على تشجيعهم ودفعهم للمطالعة داخل البيئة العقابية فقط، إنما لها تأثير كبير وإيجابي على نسبة كبيرة منهم بمساعدتهم على التأقلم مع هذه البيئة الجديدة والتعود عليها، ويبين لنا الجدول رقم (03) أن 51.85% من عدد النزلاء المستجوبين ساعدتهم المكتبة على التأقلم مع جو السجن، وذلك لما لها من دور في مساعدة النزلاء على تنظيم حياته داخله والتخفيف من القلق والإضطراب، فينسى همومه ويملاً الفراغ الذي لديه بالمعرفة وإجتناّب رفقاء السوء، وهذا ما يسمح له بقضاء مدة السجن في أفضل حال، ولا يمكن لمكتبة السجن القيام بهذا الدور إلا بتوفير كتب شيقة ومثيرة تجلب إهتمام النزلاء، وتنسبهم مشاكلهم لتبقيهم هادئين، وفي هذا الصدد جاءت إجابات العديد منهم-نسوقها حرفيا- أن: «الإنشغال بمطالعة الكتب وغيرها تجعل النزلاء يعيش في هدوء» فـ «كل النزلاء الذين يطالعون تجددهم هادئين» وذلك: «لأن مطالعة الكتب تجعل العقل يثبت مع القراءة والفهم والمعرفة ولا يفكر في الجدران»، كما تجنّبهم الإحساس بالوحدة لأنه: «بالمطالعة واللجوء للمكتبة يخالط النزلاء الحراس والنزلاء ويؤثرون فيه بالإيجاب فلا يكون له خوف أو إنطواء من ذاته وعن محيطه»، أيضا حسب إجابات مسجونين آخرين فإن مكتبة السجن مهمة جدا داخل البيئة العقابية ولا يمكن للسجين

الإستغناء عنها إن أراد التأقلم والتعود على بيئة السجن لأنها : «تمنعه من التفكير السلبي في المشاكل والهموم والقلق» وتربطه بالواقع المعاش خارجا ف: «المطالعة والكتب والمجلات العلمية هي بمثابة الأبواب المفتوحة على العالم الخارجي» و«لأنها تخرجك من السجن إلى الحياة الخارجية» بينما أجاب 30.24% أن مكتبة السجن لم تساعدهم على التأقلم مع البيئة العقابية وهذا يرجع للدور المحدود الذي تلعبه بالنسبة لهم وللأهمية القليلة في حياتهم، فهي تملأ حيز زمني قليل مقارنة بوقت الفراغ الكبير الموجود بداخل السجن، والجو الداخلي فيه لا يساعد على ذلك لأن البيئة سيئة جدا، فالبيئة المغلقة صعبة التكيف حسب إجابات الكثير منهم.

2.3. مساهمة مكتبة السجن في إصلاح وإعادة إدماج النزلاء

هل تساهم المكتبة في الإصلاح وإعادة الإدماج للسجناء؟	التكرارات	النسبة
نعم	168	51.85 %
لا	93	28.70 %
دون إجابة	63	19.44 %
المجموع	324	100 %

الجدول رقم (04): مساعدة مكتبة السجن في إصلاح وإدماج النزلاء.

أردنا معرفة ما إذا كان لمكتبات السجون في الجزائر إسهاما في تغيير النزلاء وإعادة إدماجهم في المجتمع بعد خروجهم منه، وذلك من خلال معرفة آراء المعنيين وتصوراتهم حول ذلك، ومن خلال الجدول رقم (04) يرى 51.85% من أفراد العينة المدروسة أن مكتبة السجن لها دور إيجابي وفعال في إصلاح المسجون وإعادة إدماجه في المجتمع، وهذا حسب إجابات النزلاء أنفسهم، فيرى الكثير منهم أنه يمكن للمكتبة تحقيق ذلك: «لوجود فيها كتب تعلمك الحياة وكيفية كسب الرزق الحلال إضافة إلى تعلمك الدين»، وهي بذلك تعمل على «التغيير من أخلاقه خاصة بمطالعة كتب الدين» و«تغيير فيه أشياء كانت خالدة في ذهنه لأن كل مطالعة فهي علم وتهذيب وتربية وهذا ما يحتاجه المذنب»، ف «إذا كانت المكتبة في المستوى فسيستبدل سلوك السجين بنسبة 500%» ويمكنها ذلك أيضا: «لأنها تغير من ذهنياته وترفع معنوياته وتشجعه على تغيير نمط حياته»، وبالتالي «تعلمه كيف يتكيف مع المجتمع»، بينما يرى 28.70% من المستجوبين بأن مكتبة السجن لا يمكنها حسب رأيهم ذلك لعدم احتوائها على كتب في فقه الإصلاح، ولأن الإصلاح يكون خارج السجن، كما أن الكتب ليست هي الحل، فالمشكل جذري في المجتمع وصعب نجاح إعادة الإدماج في البيئة العقابية، ولن تتمكن مكتبة السجن من تأهيل وإعادة إدماج المسجونين لوجود عراقيل تحول دون ذلك، فهم غالبا لا يطالعون لقلة الإعارة أو لأن المطالعة مجرد تمضية للوقت بالنسبة للكثير منهم، أيضا من بين ما جاء في إجاباتهم من

آراء أن مكتبة السجن «لا تساعد بما فيها الآن من كتب أما إذا تحسنت الكتب فهي لا شك تساعد على الإصلاح والاندماج» وذلك لـ «قلة مواضيع المطالعة وعدم مواكبتها للإصلاحات الجديدة والحياة خارج السجن»، كما «لا يوجد كتب تعالج هذا الأمر مثل الكتب الدينية التي تدعو إلى التوبة والصبر على الأقدار وكتب الذين خرجوا عن الطريق ثم عادوا وأصبحوا عظماء وكتب التي تعالج موضوع الأصدقاء» وأيضا لأن «الجو لا يساعد ودور المكتبة قليل مقارنة بوقت الفراغ»، كما لا يمكنها ذلك: «لأن السجناء أميون» و «لأن إختلاطه مع النزلاء الآخرين المشاغبين يؤثرون على حياته المستقبلية».

يمكننا القول أن مكتبة السجن حسب آراء النزلاء يمكنها إعادة إدماجهم وإصلاحهم إذا ما توافرت لديها كتب ووثائق مهمة تشجعهم وتدعوهم لذلك، خاصة كتب الدين والقصص والعبر التي تروي أحداث عن حياة الشخصيات الواقعية التي تحدث الصعاب وتغيرت نحو الأحسن، فيمكن للنزلاء التأثير كثيرا والإقتداء بها، وقد أخبرنا القائمين على مكتبات السجون التي زرتها أنهم كثيرا ما يلاحظون الأثر الإيجابي للمكتبة على بعض النزلاء من خلال مداومتهم على المطالعة شيئا فشيئا، وتغير سلوكهم داخل السجن، مثلما كان عليه الحال لأحد النزلاء الذي دخل أميا إلى السجن وبعد إنضمامه لبرنامج محو الأمية والمطالعة الدائمة وقراءة القرآن والدخول في الجو العلمي المتاح بالسجن إستطاع الحصول على البكالوريا ثم شهادة جامعية غيرت حياته بعد إطلاق سراحه²².

2.4. أهمية وجود مكتبة في السجن بالنسبة للنزلاء

هل وجود مكتبة في السجن أمر؟	التكرارات	النسبة
ضروري جدا	203	62.65 %
ضروري	104	32.09 %
لا أدري	09	02.77 %
غير ضروري	04	01.23 %
دون إجابة	04	01.23 %
المجموع	324	100 %

الجدول رقم (05): أهمية وجود مكتبة في السجن بالنسبة للنزلاء.

عند سؤالنا للمبحوثين عن مدى أهمية وجود مكتبة في السجن جاءت نتائج الجدول رقم (05) لتدل على إجماع شبه تام من طرفهم على أهميتها وضرورة وجودها داخل البيئة العقابية، فباستثناء 01.23% من المستجوبين الذين أجابوا بأن وجودها غير ضروري في السجن، وهي الفئة التي تقلل من أهمية المكتبة ودورها الكبير في حياة الفرد والمجتمع، أو 02.77% ممن كانت إجابتهم بـ لا أدري، فإن البقية كلهم أجمعوا على أن

وجودها ضروري في السجن بنسبة 32.09% أو ضروري جدا بنسبة 62.65% وهذا ما يؤكد على أهمية ضرورة وجود المكتبة في السجن بالنسبة للنزلاء مهما كانت نوعية الخدمات التي تقدمها لهم بإجماع الفئتين منهم (94.74%) ، ويرجع سبب هذا الإجماع إلى الدور الذي تلعبه في حياتهم خاصة داخل المؤسسة العقابية من تشجيع لهم على القراءة مثلما سبق ذكره ولتأثيرها الكبير عليهم حسب ما سيأتي.

2.5. تأثير مكتبة السجن على حياة النزلاء

هل أثرت المكتبة في حياتك؟	التكرارات	النسبة
نعم	168	51.85 %
لا	120	37.03 %
دون إجابة	36	11.11 %
المجموع	324	100 %

الجدول رقم (06): تأثير مكتبة السجن على حياة النزلاء.

لقد كان لإنشاء مكتبات في السجون الجزائرية وتدعيمها بالإمكانيات والموارد المتاحة من أجل تقديمها لخدمات ونشاطات مختلفة لتحفيز المستفيدين منها على المطالعة إنعكاسا وتأثيرا إيجابيا على 51.85% من النزلاء عينة مجتمع البحث، كما غيرت الكثير في حياتهم نحو الأحسن، وذلك حسب النتائج المتحصل عليها من خلال الجدول رقم (06) أين قال أحد النزلاء أنه بفضلها «تعلمت الكثير في أمور الدنيا والدين والمعاملات، واكتسبت ثقافة عامة وكيف أعامل جميع العقول الموجودة هنا»، وأجاب آخر أنها: «علمتني مطالعة الكتب، والمطالعة أعطتني الصبر والإبتعاد عن القيل والقال، وحب الكتاب وقيمه وفوائده»، ومن بين ما قاله أحد السجناء أيضا «كنت أجالس أصحاب السوء، أما الآن أصبحت أجالس كتابي أتحدث معه» فبفضلها قال أحد النزلاء: «إكتشفت النقائص في شخصيتي وغيّرت طريقة تفكيري في الحياة والمجتمع» وقال آخر: «تعلمت أحب الحياة وليس كل شيء نحصل عليه بالعنف ونستطيع تمييز الناس» وأجاب آخر: «أصبحت بفضل المطالعة المستمرة أنظر إلى الحياة نظرة مغايرة تماما» كما أنه: «بكثرة المطالعة تهذبت نفسي وأصبحت أجد أن مستواي قد إرتقى وبدأت أبتعد عن أصحاب السوء وأصبحت أجد لذة الحياة» مثلما قال البعض، وقال آخر: «أصبحت أحترم الكتاب وأقدره فلا يفارقني»، كما أجاب نزيل آخر أن المكتبة «أخرجتني من العزلة وملأت الفراغ»، وقال عنها آخر أنها: «أعطتني صديقين وفيين وصاحبي ثقة هما الكتاب والقلم»، وغيرها كثير من الإجابات التي دلت على أهمية مكتبة السجن في حياة النزلاء ومدى تأثيرها عليهم وتغييرها لهم نذكر من بينها: «تزرع المكتبة حب المطالعة والإطلاع على مختلف العلوم داخل السجن فتجعل النزيل شخصا مهذبا مثقفا محبا للتعرف على مختلف الثقافات وعندما يخرج ستجده إنسانا يتصف بالعلم ويعرف كيف يبتعد عن المشاكل»، «تساهم في تغيير نظرة النزيل للمجتمع»، «غيرت طريقة تفكيري»، «لأني في السابق كنت أغذي

جسمي فقط أما الآن فأنا أغذي عقلي أيضا، وأصبحت لي ثقافة لا بأس بها وذلك بفضل المطالعة»، «أنسى في بعض الأوقات أنني متواجد في تلك اللحظة داخل السجن»، «أنا سجين لكن لست مقيدا بوجود الكتاب فأنا حر وأصبح ذهني واسعا جدا»، «أصبحت عندي ثقافة عامة في كل المجالات»، «تخرجني قليلا من محيط السجن»، «أبقى على إطلاع بالعالم الخارجي»، إذا تلك هي كانت إجابات النزلاء حول أهمية المكتبة بالنسبة لهم كنا نقلناها حرفيا بين مزدوجتين ووظفناها في شكل فقرات متصلة للتعبير عن مدى عمق تأثير المكتبة في حياتهم، بينما 37.03% من المستجوبين أجابوا بأن مكتبة السجن لم يكن لها أي دور أو تأثير عليهم، ولم تغير شيئا في حياتهم، وذلك لأنهم لم يجدوا في رصيدها من الكتب ما يمكن أن يغير من حياتهم لأنها عديمة القيمة حسب رأيهم، بل هي وسيلة ترفيه فقط، كما أرجع البعض ذلك لأنهم لا يستعملون المكتبة كثيرا، أو لم يستفيدوا من الكتب التي يرغبون فيها، أما آخرون فأرجعوا ذلك لأنهم كانوا يطالعون قبل الدخول للسجن، فلم يغيرهم المكتبة فقال أحدهم: «لأنني تثقت خارج السجن».

2. 6. تأثير عدم وجود مكتبة في السجن

هل عدم وجود مكتبة في السجن أمر؟	التكرارات	النسبة
سيئ	268	% 82.71
عادي	23	% 07.09
جيد	24	% 07.40
لا أدري	07	% 02.16
دون إجابة	02	% 00.61
المجموع	324	% 100

الجدول رقم: (07) تأثير عدم وجود مكتبة في السجن.

بعدما تعرفنا على أهمية مكتبات السجون في الجزائر وأثرها الإيجابي على بعض النزلاء، والدور الذي تقوم به داخل البيئة العقابية من إصلاح وتحفيز لهم على المطالعة، قمنا بطرح سؤال عليهم حول تصورهم لوضعية السجن من دون مكتبة فجاءت نتائج الجدول رقم (07) على أن 82.71% منهم أجابوا بأن عدم وجودها هو أمر سيء ويؤدي إلى انحطاط المعنويات والانحراف نظرا لكثرة الأمية والجهل، كما يخيم الملل والجمود الفكري وتدهور أفكار النزلاء، فقد أجاب أحد النزلاء: «مؤسف تضيق السنوات الطوال في غير طلب العلم» وأجاب آخر: «الكتاب خير جليس، فالمكتبة خير ثلة» وهذا ما يزيد من تأكيد لأهمية ودور المكتبة في حياة الأفراد والمجتمعات، وبعدها الاجتماعي والنفسي والإصلاحي، بينما أجاب 07.09% من المستجوبين بأن عدم وجود المكتبة في السجن أمر عادي، وهي الفئة التي ليس لها إهتمام كبير بالمكتبة وتُعتبر بالنسبة لهم أمرا

ثانويا نظرا لوجود إهتمامات أخرى لديهم كالرياضة والتلفاز... إلخ، كما أجاب بعض النزلاء بلغت نسبتهم 07.40% بأن عدم وجودها هو أمر جيد، رغم أن معظمهم كانوا يقصدون من إجابتهم أن وجود مكتبة في السجن أمر جيد وفق تبريراتهم التي أوردوها في الإستبيان.

نتائج الدراسة

توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج أبرزها:

- مكتبات السجون لها أهمية كبيرة في المجتمع خاصة وأن أهدافها تكمل أهداف السجن الإصلاحية والإدماجية.

- واقع مكتبات السجون في الجزائر يتقارب مع واقع المكتبات عامة، كونها لها نفس الوظائف والخدمات والإمكانيات والأهداف تقريبا، فهي الأخرى تقوم بالجرد، الفهرسة، التصنيف، إعداد الفهارس، تقديم خدمة الإعارة... ولو أنها لا تتطابق تمام التطابق مع الإجراءات المتعارف عليها في كيفية إنجازها وطرق أدائها.

- تكوين المجموعات في مكتبات السجون الجزائرية يتم على الخصوص من خلال: التزويد المركزي بواسطة المديرية العامة لإدارة السجون، والهدايا.

- الرقابة على المقتنيات الجديدة أمر جد أساسي في سياسة المكتبات بالسجون نظرا لحساسية وخصوصية هذه الأخيرة.

- تعتمد خدمة الإعارة في المؤسسات العقابية الجزائرية بالأساس عن طريق العربة المتنقلة.

- مكتبات السجون في الجزائر إمكانياتها البشرية قليلة جدا لعدم توفر متخصصين في علم المكتبات للعمل بها، فهي تعتمد في إنجاز أعمالها على العاملين في قطاع السجون، أو من خلال النزلاء، إضافة إلى محدودية الإمكانيات المادية المتعلقة بالمساحة والموقع والتجهيزات.

- تستعمل مكتبات السجون الجزائرية بعضا من التكنولوجيات الحديثة، تتمثل بالأساس في الحواسيب، وبعض الأجهزة الأخرى مثل آلات التصوير والنسخ، إضافة إلى برنامج محلي لتسيير المكتبة بالمؤسسة العقابية في الحراش.

- تأثير مكتبات السجون على النزلاء في الجزائر بدا واضحا وجليا من خلال إجابات الكثير منهم، فهي تحفز العديد منهم على المطالعة بفضل المجموعات التي توفرها لهم، إلا أن البعض الآخر يرى عكس ذلك نظرا للنقص التي تعاني منها على غرار عدم تلبية مجموعاتها لطلباتهم وحاجياتهم القرائية.

- ساهمت مكتبات السجون في إندماج وتأقلم بعض النزلاء مع بيئة السجن الداخلية بفضل الراحة النفسية التي وفرتها لهم بعض الكتب التي يطالعونها وأنستهم صعوبات البيئة العقابية.

- أثرت مكتبات السجون الجزائرية بشكل إيجابي في حياة العديد من النزلاء نفسيا وفكريا وإجتماعيا، فأخرجتهم من عزلتهم وملأت الفراغ الذي يعانون منه.

الخاتمة

تعتبر المكتبات بمثابة نافذة أمل كبيرة بالنسبة لفئة المسجونين في الجزائر، ولها أهمية بالغة في حياتهم داخل السجن، وحتى بعد خروجهم منه، كونها تؤدي دورا كبيرا جدا بالنسبة لفكرة إصلاح وإعادة إدماج النزلاء، إلا

أنه وللأسف الشديد الكثير منا لا يعرف هذه الأهمية، وحتى منا من لا يعرف بوجودها أصلاً رغم أن واقع حالها أفضل بكثير من بعض المكتبات، وأهم ما توصلنا إليه من خلال الدراسة هذا الموضوع ليس وصف واقع وإجراءات عمل مكتبات السجون في الجزائر فقط، إنما قياس وملاحظة الأثر الإيجابي لها على بعض النزلاء، فمن بين ما تمكنت من تحقيقه عملياً هو تحفيزها لهم على المطالعة، ومساعدتهم على التأقلم مع البيئة العقابية، بالإضافة إلى مساهمتها في إصلاحهم وإعادة إدماجهم في المجتمع، مما جعلها تحتل مكانة مهمة بالنسبة لهم خاصة وأنها استطاعت التأثير في حياة الكثير منهم تأثيراً إيجابياً فقال أحد النزلاء عنها: «لولا المكتبة لكنا سجناء»، وقال آخر بفضلها «أحسست بالإنسانية».

الهوامش

1. الإتحاد الدولي لجمعيات المكتبات ومؤسساتها. بيان اليونسكو بشأن المكتبات العامة 1994. متاح في <http://archive.ifla.org/VII/s8/unesco/arab.pdf>:> (إطلع عليه يوم 2019/01/13)
2. IFLA. Recommendation à l'usage des bibliothèques de prison. 3^{ème} éd. IFLA Rapports Professionnels [en ligne]. 2006, n°97. Disponible sur: www.ifla.org/publication/ifla-professional-reports-92. (Consulté le 13/01/2019)
3. اللجنة الوطنية الاستشارية لترقية وحماية حقوق الإنسان. تقرير حول زيارة المؤسسات العقابية. الجزائر: ل.و.إ.ح.ت.ج.إ.، 2008. ص. 142
4. النشار، السيد السيد. مكتبات السجون. الإسكندرية: دار الثقافة العلمية، 2001. ص. 29
5. الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية. وزارة العدل. قانون تنظيم السجون وإعادة الإدماج الإجتماعي للمحبوسين. الجزائر: وزارة العدل، 2005. ص. 6
6. مقابلة مع السيد بلحنفية قادة، رئيس مصلحة إعادة الإدماج بمؤسسة إعادة التربية و التأهيل ببلعباس، يوم: 2012/08/15
7. مقابلة مع السيد بلحنفية قادة، رئيس مصلحة إعادة الإدماج بمؤسسة إعادة التربية و التأهيل ببلعباس، يوم: 2012/08/15
8. مقابلة مع الأنسة ل. ياسمين، نائبة رئيس مصلحة إعادة الإدماج بمؤسسة إعادة التربية و التأهيل بالحراش، يوم: 2012/10/18
9. جزائريس: محرك بحث إخباري. كتب لتقويم المنحرفين [على الخط]. متاح في: www.djazairress.com/elkhabar/247727:> (إطلع عليه يوم 2013/06/26)
10. مقابلة مع رئيس مصلحة إعادة الإدماج بمؤسسة إعادة التربية والتأهيل بالبرواقية، يوم: 2012/11/20
11. مقابلة مع الأنسة ل. ياسمين، نائبة رئيس مصلحة إعادة الإدماج بمؤسسة إعادة التربية و التأهيل بالحراش، يوم: 2012/10/18
12. مقابلة مع رئيس مصلحة إعادة الإدماج بمؤسسة إعادة التربية و التأهيل بالبرواقية، يوم: 2012/11/20
13. مقابلة مع السيد علي فضيلة، مشرف على مكتبة مؤسسة إعادة التربية و التأهيل بالشلف، يوم: 2012/09/11
14. مقابلة مع الأنسة ل. ياسمين، نائبة رئيس مصلحة إعادة الإدماج بمؤسسة إعادة التربية و التأهيل بالحراش، يوم: 2012/10/18
15. عثمانية، لخميسي. السياسة العقابية في الجزائر والمواثيق الدولية لحقوق الإنسان. أطروحة دكتوراه: قانون عام : جامعة محمد خيضر كلية الحقوق والعلوم السياسية قسم الحقوق، 2008. ص. 106
16. مقابلة مع رئيس مصلحة إعادة الإدماج بمؤسسة إعادة التربية و التأهيل بالبرواقية، يوم: 2012/11/20
17. مقابلة مع السيد بلحنفية قادة، رئيس مصلحة إعادة الإدماج بمؤسسة إعادة التربية و التأهيل ببلعباس، يوم: 2012/08/15
18. يقصد بمنطقة الإحتباس المكان الذي يتواجد به المحبوسين ويتكون من الزنانات حيث تشتد الحراسة والاجراءات الأمنية، وهي تكون في وسط السجن.
19. مقابلة مع الأنسة ل. ياسمين، نائبة رئيس مصلحة إعادة الإدماج بمؤسسة إعادة التربية و التأهيل بالحراش، يوم: 2012/10/18
20. الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية. مرسوم تنفيذي يحدد و سائل الاتصال عن بعد و كفاءات استعمالها من المحبوسين. الجريدة الرسمية. مرسوم تنفيذي رقم 05-430، نوفمبر 2005. ص. 6-7 (PDF)
21. مقابلة مع السيد علي فضيلة، مشرف على مكتبة مؤسسة إعادة التربية و التأهيل بالشلف، يوم: 2012/09/11.

